مكتبة المقتطف

خطط الشام

اصدر الاستاذ محمد كرد علي ، رئيس المجمع العلمي العربي في دمشق ، الجزء الخامس من كتابه « خطط الشام » في نيف وثلاثمائة صفحة ، مشتملاً على مباحث في الجيش والاسطول والخراج والاوقاف والحسبة والزرع والمراعي والخطوط الحديدية والطرق والبريد والبرق والهاتف (التلفون) والمصانع والقصور والآثار ، مبيناً ما كان عليه كل منها في بلاد الشام قديماً وما صار اليه حديثاً . يتخلل ذلك نبذ في التاريخ والادب والتشريع والاحصاء استصفاها من مئات المصادر ، وخواطر اخرجت الكتاب في كثير من مناحيه عن عبوسة التاريخ وثقل ظله !

والاستاذ كرد علي سلس الاسلوب ، يكثر في أبحاثه الاستنتاج والادلاء بالرأي ، وقد تتغلب فيه طبيعة الكاتب الاجتماعي على طبيعة المؤرخ ، ثم يردهُ الى هذه ما يستلزمهُ كتابهُ . وهو في انشائه وسرد حوادثه حسن الانتقال في غير شذوذ عن موضوعه ، فبينما هو يحدث قارئهُ بحثه بالحادث التاريخي الجاف او يعرض امامهُ صورة ما كان عليه حال بلد او جيل اذا به ينتقل بلطف الى استطراد ادبي او تاريخي ترتاح اليه نفس القارئ وتسترد ما قد تكون اضاعتهُ من قوة استمرارها . وربما سنحت لهُ الفكرة وهو آخذ بحلقة من حلقات بحثه ، فيقول فيها كلمتهُ ، ويعود الى ما كان فيه

اما طريقتهُ في ترتيب مباحثه فلنذكر لها مثلاً « الاسطول » فانهُ ابتدأ الكلام فيه باجمال موجز جداً عما عرف عن بحرية الفينيقيين والمصريين والفراعنة واليونان والرومان في سورية ، وانتقل الى العهد العربي فذكر نفرة العرب من ركوب البحار وأتى بابيات قالها بدوي يصف اهوال البحر ، وتكلم عن اول خليفة غزا في البحر الشامي ، واستطرد الى البحرية الاموية ، وجاء بقصيدة للبحتري في وصف الاسطول ، ثم تكلم عن سواحل الشام ومناورها البحرية واسطولي الفاطميين والايوبيين وما كان لها من الاثر في الحروب الصليبية ، واشار الى الاسطول العثماني التركي ، وختم البحث

باسف واستحثاث قال فيه « من الغريب ان اهل الساحل لم تصح عزيمتهم ، الى اليوم على ان ينشئوا لهم اسطولاً تجاريًّا صغيراً يحملون عليه متاجرهم على الصورة التي كانت لليونان قبل ان ينادوا باستقلال بلادهم ، فكان لهم اسطول تجاري قليلهُ يوم استقلوا حربيًّا » الخ

ولئن امتاز كرد علي عن كثيرين من مؤرخي العرب بما اجتمع لديهِ من وفرة المصادر وبما اقتضاهُ العصر من الخروج في تنسيق التاريخ وضبط وقائعهِ عن دائرتهِ الضيقة القديمة ، فانهُ لم يقدّر لهُ ان يتمتع بما يجب ان يتمتع بهِ المؤرخ اليوم من حرية كافية في القول ، فالكابوس الذي لم يفارق مؤرخي القرون الوسطى ما زال يلوّح لصاحب الخطط كلما عرض لهُ ان يدوّن حادثاً من مشاهداتهِ اليومية او يجهر برأي لهُ مساس بحكومة البلاد التي يؤرخها . واذا عرفنا ان الاعوام الخمسة عشر التي وضع فيها كتابهُ تقلبت في خلالها على بلاد الشام سلطات متباينة النزعات من وطنية واجنبية وراعة وظائفة ادركنا ما عاناهُ من تلويح شبح السلطة لهُ ولم نعجب اذا رأيناهُ يتقي حسابها فيطلق على بعض مسميات اليوم غير اسمائها ويتعرض بعض الحوادث من غير وجوهها كما نرى في كلامهِ على الجيش العربي وحوادث سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ (ص ٣٠) وليس هذا بكثير في الكتاب ولا هو مما ينضّ منهُ

الاعلام

قاموس تراجم — لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين — تأليف خير الدين الزركلي الجزء الثاني — طبع بالمطبعة العربية بطوسكي — صفحاته ٤٠٠ من القطع الكبير

لعلَّ اشهر ما يمتاز بهِ هذا العصر توخي السرعة في انجاز الاعمال . وقد كان لاستنباط وسائل المخاطبات والمواصلات المختلفة كالتلغراف والتلفون اللاسلكيين واللاسلكيين والبواخر والقطارات والسيارات والطيارات اكبر اثر في انماء هذه الصفة في رجال الاعمال حتى قدمتهم الى الصغار فالفتاة تودّ لو يمرُّ الوقت سراعاً حتى يسمح لها بان تلبس لبس السيدات وتعمل اعمالهنَّ والفتى يقلّد اخاهُ الاكبر واباهُ قبلما يبلغ سنًّا تمكنهُ من ذلك ويودّ لو يبلغ تلك السن بين ليلة وضحاها . وكان انتشار الصحف اليومية وسرعة اذاعتها للاخبار عاملاً كبيراً حمل حبَّ السرعة وتوخيها الى مخادع الكتاب والمؤلفين فوضعت لغاتهم معاجم اللغة والاعلام والبلدان وخلاصات

العلوم المختلفة حتى يسهل عليهم تناول الحقائق المختلفة في اسرع ما يمكن من الوقت واقل ما يمكن من العناء

ولا نكون مغالين اذا قلنا ان ادباء العربية يحتاجون الى مثل هذا القاموس احتياجهم الى معجم لغوي وافٍ باغراضهم من حيث الضبط والتحقيق وترتيب المواد حتى يسهل تناولها عليهم . وقد تجشم الاستاذ الزركلي مصاعب جمة في جمع هذه التراجم وايجازها حتى تفي بالغرض الذي اقدم على تحقيقه . ففي الصفحات العشر الاولى من هذا الجزء اسند الروايات التي اعتمد عليها الى عشرة مصادر على الاقل منها « نكت الهميان » و « فوات الوفيات » و « تهذيب التهذيب » و« طبقات الاطباء » و « المقتطف » و «البيان والتبيين » و « خطط المقريزي » و « دول الاسلام » و« خلاصة الاثر » « والبواقيت الثمينة » و « طبقات ابن سعد » وغيرها من المصادر العربية . وفيما يلي ترجمتهُ لابن المقفّع كما وردت في صفحة ٨٨٥ تقلبها الى القراء ليبان الخطة التي سار عليها في وضع القاموس

ابن المقفع (٧٢٤ — ٧٥٩ م ١٠٦ — ١٤٢ هـ)

«عبدالله ابن المقفّع : من ائمة الكتاب ، واول من عني في الاسلام بترجمة كتب المنطق . اصلهُ من الفرس ، وولد في العراق مجوسيًّا ، واسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح وولي كتابة الديوان للمنصور العباسي، وترجم لهُ « كتب ارسطوطاليس » الثلاثة في المنطق ، وكتاب المدخل الى علم المنطق المعروف بايساغوجي ، وترجم عن الفارسية كتاب « كليلة ودمنة — ط » وهو اشهر كتبهِ. وانشأ رسائل عالية في الابداع منها « الادب الصغير — ط » و« اليتيمة — ط ». واتهم بالزندقة فقتلهُ في البصرة اميرها سفيان بن معاوية المهلبي »

فكتاب الاعلام حري بعناية المتكلمين بالعربية لانهُ وسيلة تمكن الصحافيين والمعلمين والكتّاب عموماً من تحقيق امور قد يتعذر الحصول عليها الا بعد مراجعة مجلدات كثيرة قد يضيع القارئ في ثنايا مطولاتها . فنحن نشكر للاستاذ الزركلي عنايتهُ بوضع هذا المؤلف ونتمنى لهُ كل ذيوع هو جدير بهِ

﴿ تاريخ اليمن ﴾ المسمى «فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن » تأليف الشيخ عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني . طبع بالمطبعة السلفية بمصر صفحاتهُ ٤٠٠ من القطع الصغير

ديوان العقاد

اربعة اجزاء في مجلد واحد — نظم الاستاذ عباس محمود العقاد — طبع بمطبعة المقتطف والمقطم صفحاته ٣٦٢ قطع وسط — ثمنه ١٥ غرشاً

اريدُ مني ان اقول كلمة في « ديوان العقاد » لا في « العقاد وديوانه » لان صاحب الديوان انابنة غني عما بين أيدي قراء العربية من كتبه وآثاره وما يجود به قلمه كل يوم ، عن تعريفهم به بما درسه أدبياً وسياسيًّا ومفكراً وشاعراً وإنساناً فذلك ما لا اظن الخيال يتسع لهُ هنا . إذن ستنحصر الكلمة في هذا المجلد المتراص السطور ، البالغ ٣٦٢ صفحة ، المطبوع حديثاً في مطبعة المقتطف والمقطم طبعاً حسناً بحروف صغيرة على ورق صقيل ، يتضمن اربعة أجزاء نشر بعضها في اوقات مختلفة

***

اول ما تقع عليهِ العين من ديوان العقاد مقدمة لصديقه الاستاذ المازني ثم مقدمتان لصاحب الديوان فمقدمة ثالثة منظومة من شعره يقول ان كتابهُ في ايدي قرائهِ نازل بحراً لا نهاية لهُ ، فيهِ حكمة وغناء ، ويأس ورجاء ، وحب وبغضاء ، وصمت وضوضاء ، وانهُ صورة حياته ، ثم يلتفت بين القدح والثناء ما شاءت الدنيا من الجزاء . . ويأبى على المازني حبه لصديقه ان يرضى باطلاق معنى « الثناء » على ما هو معروف ، فيميل الى التأويل ، ونعم الميل ميله . .

يمتاز هذا الديوان ، او شعر نابغة الادب العربي عباس ، بان فيهِ دياجة قوية وتفكيراً عميقاً وجدة في التشبيه وقوة في الاسلوب وأن صاحبهُ لا يرقب وحي الشعر ، يقولهُ إن هبط عليهِ ، ويصمت ان قلاهُ جبريله ، بل قد يستعير آيات سواهُ فينظم « فينوس على جثة ادونيس » لشكسبير ، ويلخص « غادة أثينا » من سيرة اسكندر ، ويترجم « الوداع » عن بيرنز و« الوردة » عن كوبر ، ويقتبس المعنى من شاعر غير عربي فيصوغهُ صياغة عربية ، وهو في ذلك امين يغزو ويعزو ، لا قانص يستلب ويحتجب !

ويريك البداوة ممثلة في « وثبة في الصحراء » وهو يقول : هضابك ام هذي اواذيّ عيلم — ويصف الوحش فيقول :

يثوخ ببطن الارض ، والارض جمرة خياشيمهُ م القيظ يضطنّ بالدم

نتتاع معهُ في حياتهِ اهل القراني حين يزج « آدم » في بيت من هذه القصيدة وينعى على الناس تعاديهم ، فيعللهُ بجهل بعضهم سر بعض ، فينطق بالحكمة الرائعة : ولو يفهم الناس سر الناس.. » (ص ٤٥)

وتقرأ لهُ « كوكب في الاوقيانوس » فيصوّر لك ما عاناهُ ذلك المكتشف من مخاوف واخطار : لا السماوات تهديهِ ، ولا النور بنور ، يسأل السحب أين مسراك ؟ أين ترمين بالحيا ؟ أتعودين بهِ الى البحر ام تحيين بصوبهِ الثرى ؟ في سماه ما حوّم فيها غير غادي سحابها ، كل يوم يرى بساطاً من الموج شيباً مطويّةً بمنشورهِ ، تظهر الشمس كل يوم ، ولا يأذن « للارض » حاجب بالظهور ، ثم لاحت (الارض) فظنها القوم راحاً مدها الله من وراء البحور !

هول اليه في ذلك البحر العجاج يلم الاستاذ العقاد حكمة فيقول :

كم ضلال في اليمّ ارهب منهُ صرعات الضلال في التفكير !

وتذكرك قصيدتهُ « الحمّام — ص ٥٩ » وقفات ابن ابي ربيعة في اركان الكعبة ، فتود انهُ لم يختمها بشراهتهِ « لا تلتمي فيها .. والثمي قفري ! » كما يذكرك وصفهُ « حديقة البرتقال — ص ١٠٣ » عنب ابن الرومي ، وهو بهِ جدٌّ معجب

يطربك التشبيه في « ضحك الطبيعة في الربيع — ص ٢٣ » ويهزك الابداع في وصف نرضة البحر « بسطت ذراعيها » الى « آخر البيت ١٣ » ص ١٩ ، ويشعرك بالوحشة حين يقول « أنا الغريب » البيت ص ٤٦ ، ويمض عليك « أمسيت احداق السفائن » البيت ص ١٩ فتقول كان هذا احدر بالشرح من الجودي ونار القرى . وإن لم يرضك قولهُ « فلا فرق بين اعمى وهر — ص ٣٢ » هزك في القطعة نفسها قولهُ « ولهذا الظلام — البيتين ص ٣٢ . أما أن « الحسن في الدنيا من الآفات — ص ٢٢ » فلا ادري ان كان في بقية الابيات برهان عليهِ . وأما تبسم الجبين في قولهِ « فاذا تبسم في الحريف جبينها — ص ٢٣ » فللاستاذ رأيهُ فيهِ ولعلهُ لو قال « المنظر » في هذا البيت لكان افضل من « النظرة »

ويطلق الفكرة ثم يبدو لهُ ما يُخال ناقضاً لها فلا يتردد في اطلاقهِ الى جانبها: يقول في « حكمة الجهل » : « در مع الناس كيفما كنتي . . . وتجاهل ... واذا المرء كان بالحمق يحظى فمن الحمق ان تكون حكيما » ثم يقول في « الشيء من غير معدنهِ » : « ليس أضنى لفؤادي من عجوز تصابى ودميم يتحالى وعليم يتغابى . . »

والديوان مملوء بنظم الخواطر في الفلسفة والحكمة والاجتماع ، تكسوها شاعريته حلة بهية اذا هي لم يهتز لها الشعور فانها مما يطول فيه التأمل . فكثير من شعره قد لا يشغل العاطفة وانما يطيل شغل العقل ، وأكاد اقول ان فيه ماهو مباحث علمية منظومة ولولا مايأخذ قارئها من روعة هي وليدة إجادة السبك ونتيجة الابداع في البيان

***

وهمست بأن اشير الى ما مال اليه الطبع من قصائد ومقاطيع ومفردات مختارة في الديوان كقصيدة « الشاعر الاعمى » و« النوم » و « الحب الاول » و « رحلة الى الحزان » و« في اسوان » ومقطوعة « دوائي ودائي » و« يوم المعاد » و« اليقين » و« هيكل أدفو » و « الكون والحياة » و « أين السعادة » و « الثار » و « رثاء طفلة » وأمثالها فرأيت الافاضة تعرّض للاطالة ، وحسب ديوان العقاد أنهُ ثمرة ناضجة في الادب الصحيح ودرة ثمينة في عقده « قارئ ».

﴿ الثقافة ﴾ مجلة علمية ادبية شهرية لصاحبها ومديرها المحامي عبد الجليل برتو تصدر في البصرة — عراق وتطبع بالمطبعة الكاظمية فيها وقيمة اشتراكها ٩ ربيات في السنة

﴿ رواية بائعة الخبز ﴾ تأليف الكاتب لونسون دي تيرايل وترجمة المرحوم طانيوس عبده . عني بنشرها الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بمصر وهي جزآن صفحاتهما ٣٦٥ من القطع الكبير

﴿ رواية المتكرة الحسناء ﴾ تأليف جول ماري وترجمة المرحوم طانيوس عبده وقد عني بنشرها الياس افندي انطون الياس صاحب المطبعة العصرية بالفجالة بمصر صفحاتها ١٥٤ من القطع الكبير